سير الزمان

المؤتمر الدولي

الثاني للعلوم التاريخية

ملخص طائفة من الرسائل الفنية التي تليت فيه

عن تقرير سعيد وضعه الاستاذ محمد قدري بك
عميد دار العلوم ومندوب الحكومة المصرية في المؤتمر

السلطان محمد الثاني وفتح القسطنطينية ومكانته التاريخية

الثورة الفرنسية واستقلال اليونان

أساس القومية الحديثة

المسألة الشرقية

الفلسفة النفسية وعلاقتها بنشوء مبادىء الاحرار في انكلترا

الفلسفة السياسية الاسلامية ومكانها بين النظريات السياسية العامة

العوامل الثابتة في التاريخ

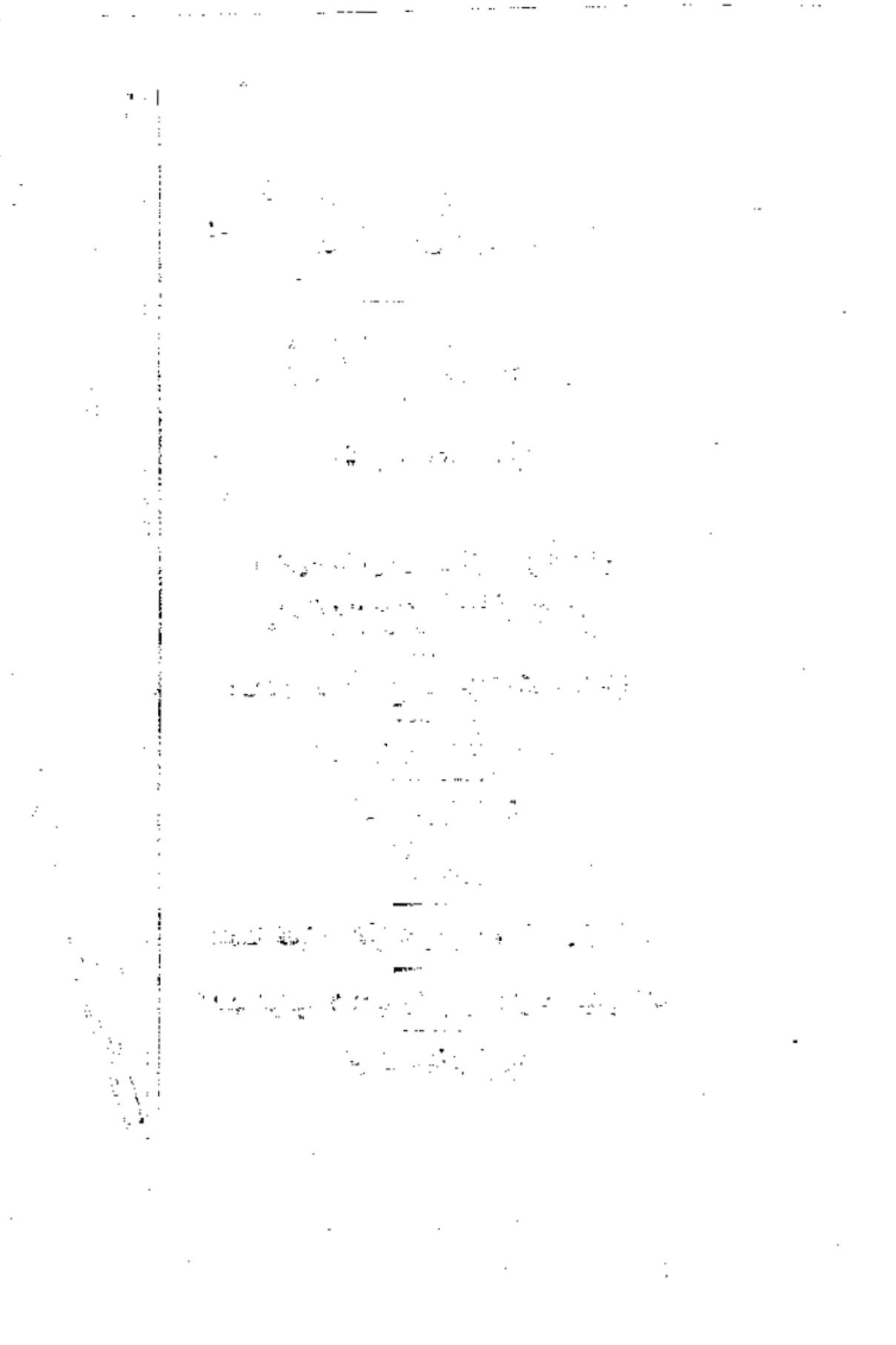

المؤتمر الدولي

الثامن للعلوم التاريخية[1]

ملخص طائفة من الرسائل النفيسة التي قليت فيه

عقد المؤتمر الدولي الثامن لعلوم التاريخية في سويسرا في الأسبوع الواقع بين ٢٨ أغسطس و٤ سبتمبر سنة ١٩٣٨ لأسباب متعددة أهمها :

أولاً — الصراع السياسي القائم بين الدول الكبرى والرغبة الملحة في أن يعقد المؤتمر في جو تسوده الطمأنينة والهدوء. ثانياً — ما تتمتع به سويسرا من مظاهر الطبيعة التي تتجلى في صور منقطعة النظير. ثالثاً — حياتها الفكرية والسياسية التي ترتفع فوق عواصف الاضطراب الأوربي

٢ — (تنظيم المؤتمر) في وسط هذه البلاد التي تمتاز بحياتها الطبيعية والسياسية والفكرية عقد المؤتمر الدولي الثامن لعلوم التاريخية وقد امتاز بالبساطة التامة في اعماله وحفلاته مما يصور الحياة السويسرية أكمل تصوير واشترك فيه ٤٨ دولة يمثلها ١٣٠٠ مندوب وكان أوفر الدول تمثيلاً المانيا ويمثلها ١٨٠ مندوباً وفرنسا ويمثلها ١١٠ مندوبين ، وايطاليا ويمثلها ٩٥ مندوباً ، وبريطانيا ويمثلها ٩٠ مندوباً بحيث كانت الصفة العامة للمؤتمر المانية ايطالية تمثل التعاون الوثيق بينهما في عالم الفكر كما هو ظاهر في عالم السياسة . وقد قسم المؤتمر خمسة عشر قسماً تتناول كافة نواحي الدراسة التاريخية على ماهو مبين بعد

(١) قسم ما قبل التاريخ (٢) قسم التاريخ القديم والآثار الكلاسيكية (٣) قسم المحفوظات التاريخية (٤) قسم العملة وتاريخها (٥) قسم العصور الوسطى وبزانطه (٦) قسم التاريخ الحديث الى سنة ١٩١٤ (٧) قسم تاريخ الامم غير الاوربية (٨) قسم تاريخ الاديان (٩) قسم تاريخ القانون (١٠) قسم التاريخ الاقتصادي والاجتماعي (١١) قسم التاريخ الحربي (١٢) قسم تاريخ الفكر (الفلسفة والفنون والآداب) (١٣) قسم تاريخ العلوم (١٤) قسم طرق الدراسة التاريخية ونظرية التاريخ وتعليمه (١٥) قسم الكتابة التاريخية

---

(١) عن تقرير مسهب وضعه الاستاذ محمد قدري بك عميد دار العلوم ومندوب الحكومة المصرية في المؤتمر

وقد عرض في هذا المؤتمر ١٥٠ رسالة بينها رسالتان للمندوبين مصريين وقد استعرضت هذه الرسائل اهم الافكار والآراء السائدة في الدراسات التاريخية في العالم في نواحيها المختلفة وتقسم العمل في جميع هذه الاقسام بالاشارات الكهربائية على لوحة تسمح للزائر بأن يدرك بنظرة واحدة الرسائل التي تلقى في شتى اقسام المؤتمر في وقت معين. وسنلخص اهم هذه الرسائل فيما يلي

— ١ —

السلطان محمد الثاني فاتح القسطنطينية ومكانته التاريخية[1]

ان ما يعزى عادة الى السلطان محمد الثاني من المقام التاريخي يحتاج الى إعادة البحث فيه فقد ارتفع هذا المقام عن الواقع في بعض النواحي كما انهُ انتقص في نواح أخرى. مثل هذا الفاتح مثل غيره من ابطال التاريخ، فقد عزي اليه انهُ بفتحه للقسطنطينية قضى على حكم الدولة الرومانية التي ظلت قائمة خمسة عشر قرناً وقضى على الكنيسة المسيحية التي سيطرت على العالم الشرقي اثني عشر قرناً، كما انهُ قضى على الثقافة اليونانية التي انتشرت في البحر المتوسط حوالى عشرين قرناً وبينما كان اتباع المسيح يطاردون المسلمين في شبه الجزيرة الاسبانية كان سلطان العثمانيين في الطرف الآخر من البحر المتوسط يبسط راية الاسلام في اوربا تلك الراية التي ظلت خافقة اربعة قرون وهو يعتبر بعد هذا اعظم مؤسس للامبراطورية العثمانية التي اخضعت مناطق واسعة في افريقيا وآوربا وهددت في القرنين السادس عشر والسابع عشر العالم المسيحي بأكمله. كذلك يعزى الى محمد الفاتح انهُ ارغم علماء الاغريق على الهجرة حاملين مخطوطاتهم الثمينة الى ايطاليا حيث انبثقت النهضة الاوربية بكل ما انطوت عليه من اتباع للمدنية من علم وفن واختراع. ويعزى اليه ايضاً انهُ اغلق طرق التجارة القديمة بين آسيا وآوربا فحمل خرستوفر كولمبوس وفاسكودي جاما على البحث عن طرق جديدة الى الشرق وبعبارة اخرى يعزى اليه انهُ الباعث المباشر على الاستكشاف الجغرافي والتوسع الاوربي. فاذا صح هذا كله فان المكانة التي وضع فيها محمد الثاني يجب ان ترق كثيراً بين ابطال التاريخ حتى توضع الى جانب الاسكندر الاكبر ونابليون. ولكن أكثر ما عزي اليه ليس في الواقع الا نتيجة تطورات تاريخية اقتضت قروناً وأجيالاً عدة. مثال ذلك حركة احياء العلوم وحركة الكشف الجغرافي. أما عظمة محمد الفاتح فترجع في الحقيقة الى إنشائه الامبراطورية العثمانية نفسها فاستيلاؤه على القسطنطينية أضاف الى سلطانه منطقة ذات شأن عظيم قائمة في وسط الأملاك العثمانية وأزال عقبة من طريق التجارة والحرب براً وبحراً. ثم انهُ باتخاذه هذه المدينة عاصمة لملكه أنشأ مقراً مناسباً لحكومته التي كان يمد سلطانها على البلقان وآسيا الصغرى، وباحياء القسطنطينية وتجديدها أنشأ مركزاً جديداً للتجارة والثقافة

(١) الاستاذ البيرهوليير «آربل»

العلمية والفنية ، ووضع الى جانب ذلك أساس الدولة التي هددت العالم الأوربي قرنين من الزمان ولو ان نظم الحكم القائم على بناء عناصر الامبراطورية وحدات متفرقة ، أدى في النهاية الى انهيارها

— ٢ —

الثورة الفرنسية
واستقلال اليونان (١)

وجدت الثورة الفرنسية في بلاد اليونان أرضاً خصبة لنشر بذورها وبث دعوتها فبعد ان تخلت الروسيا عن عهودها التي قطعتها لليونانيين المرة بعد المرة كان طبيعياً ان يتجه هؤلاء الى فرنسا التي أذاعت مبدأ الحرية على لسان المؤتمر الأهلي في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ وضمنت المعونة لكافة الشعوب التي ترغب في حريتها ، ثم لوّحت بهذه المعونة بعريضة فعلية حينما وجهت الحملة الفرنسية الى إيطاليا وأصبح لليونان شأن حربي في تنفيذ مشروعات فرنسا الجمهورية في البحر المتوسط ووفدت الرسل لتحريك الثورة في البلاد وإيقاظ الفتنة وأنشأت في بوخارست وأنكونا مراكز لدعاة الثورة المنتشرين في البلاد وتوزيع النشائر على المحاربين

وتقارير وكلاء فرنسا السريين وأنصارهم من اليونانيين تبين مبدى نشاطهم واتساع نطاق دعوتهم. وكان انتصار نابليون في ايطاليا بشيراً بتحقيق الآمال الجائشة في صدور اليونانيين وخاصة حينما احتلت جيوش فرنسا الجزائر الايونية وقضت على سيادة البندقيين في هذه الاقطار فتدفقت حماسة الشعب وظهر نابليون كمبعوث العناية الإلهية لتحرير اليونانيين . ومن ثم أوفدت الرسل الى باريس للمفاوضة في استخدام الجيوش الفرنسية لتحرير اليونان في مقابل استيلاء فرنسا على بعض جزر الأرخبيل واحتكار التجارة في شرق البحر المتوسط بل واحتلال بعض المواقع الحربية على الشواطىء غير ان هذه الأحلام جميعاً لم تلبث ان تبددت حينما تعقد الموقف الدولي وتعذر على نابليون ان يواصل عمله هناك

ومع هذا كانت الثورة الفرنسية والانقلاب الذي أحدثتهُ في العالم أجمع أحد عناصر النهضة الهلينية فالرجال الذين تزعموا الثورة فيما بعد تدربوا على أعمال الحرب في عهد الحكم النابليوني فمنهم من اشتغل بنقل المتاجر الى الموانىء الفرنسية مخترقين نطاق الحصار الانجليزي ومنهم من اشترك فعلاً في حروب الثورة ونابليون ودرسوا أساليبها ووقفوا على دقائقها حتى اذا انتهت حروب نابليون انتشروا في بلادهم ووضعوا خدماتهم ومجاربهم في خدمة الحرية الهلينية

على أن الثورة الفرنسية أثرت في اليونانيين تأثيراً مباشراً بمبادئها القائمة على الحرية والوطنية فعلى رغم التأثير المستمد من المدنية الكلاسيكية والبيزنطية بل وعلى رغم تأثير الكنيسة

(١) الاستاذ ابوستولس داسكلاكيس — أثينا

الارثوذكسية كان اكثر الرجال السياسيين والمفكرين الذين اشتركوا في هذا النضال. فقدس مشبعين بمبادىء الثورة الى حد أن اعلان الحقوق الفرنسي اتخذ نموذجاً للدستور اليوناني في كل ما يتعلق بحقوق المواطنين الهلينيين، ذلك الدستور الذي اقره المجلس الاهلي المنعقد في ايدور في نهاية سنة ١٨٢١ وأصبح يعتبر بداية بعث اليونان

— ٣ — أساس القومية الحديثة (١)

١ — يرجع عهد القومية الحديثة الى النصف الثاني من القرن الثامن عشر فقد كانت القوميات موجودة دائماً ولكن باعتبارها مصطلحات جنسية. اما القومية باعتبارها وحدة فكرية وقضية فترجع الى عهد الثورة الفرنسية. فيكفي فقط وللمرة الاولى أصبح اقتران كل فرد من افراد الشعب بقومية معينة حقيقة ثابتة. وفي خلال القرن التاسع عشر أصبحت القوميات ترقى وأتم انواع التنظيم السياسي وغدا الوطن مصدر الثقافة والنفع المادي

٢ — وترجع القومية الحديثة في اصولها الى ذلك المصدر الذي يعتبر أساس المدنية الغربية بأكملها: «المصدر العبري والهليني». فهذان الشعبان كوّنا بعض المظاهر الجوهرية التي تميز القومية الحديثة لا في ناحيتها السياسية وانما في الناحية الثقافية، فكل فرد من أفراد (القوميات) اليهودية والاغريقية كان يشاطر بني قومه الشعور بميزات خاصة تفرقهُ عن كل الشعوب الأخرى. فكلاهما أنشأ فكرة الملكية والكهنوتية بما يخالف كافة الشعوب القديمة. وكذلك نشأت بين اليهود مبادىء التعاقد والشعب المختار والمملكة ذات الرسالة، تلك المبادىء التي أصبحت فيما بعد عناصر القومية الحديثة كما ان الاغريق انشأوا مبادىء الوطنية المدنية وما يجب ان تكون عليه العلاقة بين الهلينيين والبرابرة

٣ — على ان قومية اليهود والاغريق القدماء لم تلبث ان فقدت طابعها الثقافي والخلقي حين انشأ الاسكندر الاكبر امبراطوريته العالمية التي أوحت فلسفة (الرواقيين) ولما نشأت على أثرها الدولة الرومانية في وقت كان عناصر انتشار هذه الفلسفة في روما أضحت الدولة الرومانية الوارث الطبيعي للفكرة العالمية — فكرة التوحيد السياسي التي سيطرت على اوربا الى عصر النهضة

٤ — ولما كانت النهضة والاصلاح الديني يقومان على الرجوع الى المصادر الاصلية فقد اوحت الكتب الكلاسيكية والانجيل مبدأ القومية القديم غير ان اكتشاف فكرة القومية بقي محصوراً في دائرة معينة اي دائرة المتأدبين ولم تنتشر الى الجماهير الجاهلة بآداب النهضة ولذا كان من المتعذر ان تنشأ قومية ثقافية بالمعنى الحديث، قومية تقوم على اشتراك الشعب بأكمله في اليقظة

(١) للاستاذ هانس كوهن — نيويورك

القومية على ان اتجاه النهضة نحو احياء فكرة القومية لم يبدأ الا بعد ان جُرف امام حركة الاصلاح التي سيطرت على اوروبا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر وهي حركة تقوم غالباً على أفكار عالمية

٥ — أما في انجلترا فقد انتشرت النهضة متأخرة عن اي قارة بحيث كانت معاصرة للاصلاح ولذا فمبادىء القومية جاءت بالانجيل في القرنين الخامس عشر والسادس عشر عن طريق المصادر الكلاسيكية ، وفي القرن السابع عشر عن طريق الانجيل . ويعتبر كرومويل وملتن اول من يمثل القومية الناشئة تحت ستار ديني مع ادراكهما بكل ما تنطوي عليه من المغزى السياسي . ولذا نرى الثورة الانكليزية تتضمن جميع مبادىء الانجيل ، مبادىء التعاقد والشعب المختار والمملكة ذات الرسالة ... الخ . ونجد اليقظة القومية في انكلترا لفكرة الشعب الاهلي المختار تضفي على الامة بأكملها لان الانجيل كان يقرأ في كل مكان بحيث اصبحت انكلترا اول امة بمناها القومي وقوميتها هذه لم تتصادم مطلقاً مع الدين بل نراها تغرس نفسها في الخلق الانكليزي حتى اصبحت طبيعة لا يتطرق اليها الشك

٧ — وفي تلك الاثناء نرى القارة الاوربية تتكوّن تحت زعامة فرنسا مبدأ الملكية المستنيرة وهو مظهر سياسي لفكرة القومية لانه يملأ هذه الفكرة بحياة ويقظة جديدة يشترك فيها الشعب بأكمله ولاريب ان اقتران المظهر بالفكرة ، فكرة تحويل الجماهير عن طريق العامل الثقافي والسياسي الى امة بالمعنى المعروف يعين بداية القومية الحديثة

٨ — ولما جاءت الثورة الفرنسية أتمت عمل المفوث في هذه الناحية بقوة وعنف ولذا فالقومية الفرنسية تجمل جميع مؤثرات القرن الثامن عشر كما فعلت القومية الاميركية . ولما انتشرت مبادىء القومية من فرنسا الى الدول الاوربية الاخرى بذلت جهود عظيمة لتحويل الشعب كله الى امة . وهذه الحقيقة وحدها تفسر مظهر القومية المختلف فيه نراها تتقدم في اوربا على ضياء الثورة وتمالبها من سنة ١٧٩٧ الى سنة ١٨١٤ اذ بها تتحول بعد ذلك وخاصة في المانيا الى مظهر يخالف الصفة الفرنسية . فالقومية الفرنسية تقوم على مبادىء الحرية والانسانية والنزعة العقلية ولكنها في المانيا قومية محافظة ووجدانية

وكذلك نرى أن القومية تشمل اتجاهات مختلفة سياسيًا وفكريًا واجتماعيًا . وعلى الرغم من انها تشمل عناصر مشتركة فهناك تباين عظيم في اتجاهاتها وهو تباين ناشىء عن طبيعة البلاد ونزعاتها الخاصة . وحيث أن القومية ليست ظاهرة طبيعية ولكنها نتيجة تطورات تاريخية واجتماعية فليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بانها ظاهرة خالدة . وقد تحل محلها مرة أخرى اتجاهات عالمية مما يطابق التطور الصناعي والاقتصادي في عصرنا

— ٤ — المسألة الشرقية (١)

قلما نرى اجماعاً في مراجع التاريخ على تحديد قاطع للمسألة الشرقية نقراها تتسع احياناً حتى تشمل كافة المنازعات التي شجرت بين البزنطيين وبين الشعوب الاسلامية في اوروبا وآسيا وافريقيا حالة ان معناها المحدود يقصر نطاقها الجغرافي والسياسي على المسائل المتعلقة بالشعوب المسيحية القائمة في حوزة العثمانيين في البلقان والبنت وهذا البحث يتناول ثلاث مسائل رئيسية

اولاً — مبدأ القومية الذي نادى به اليونانيون معتمدين في ذلك على التساند الاوربي والارتباط الثقافي في اوربا . وثانياً — مراعاة التوازن الاوربي ازاء الامبراطورية الروسية الراغبة في التوسع باسم نصرة الدين وتعزيز التقاليد الموروثة في انتزاع املاك العثمانيين . وثالثاً — البحث في اصلاح الامبراطورية وتجديدها والابقاء عليها وحصر البحث في هذه الاوضاع الثلاثة تضمن بطبيعة الامر قصر المسألة على ظروف لا تتعدى العصر الذي نشأت فيه . اما الحلول التي عرضت لمعالجة هذه المسألة الى نهاية القرن التاسع عشر فهي . اولاً — تقسيم الاملاك العثمانية بين الدول الأوربية وثانياً — اصلاح وتجديد الامبراطورية بما يطابق مقتضيات الروح الأوربي وقد رفض الحل الاول ابتغاء الاحتفاظ بالتوازن بين الدول . أما الحل الثاني فقد حبط من تلقاء نفسه للتنافر العظيم القائم بين نظام الحكم في الامبراطورية وقواعد المدنية الأوربية . فقد كانت الامبراطورية تقوم على أساس الاحتفاظ بحكم طبقة ممتازة بدينها على حساب الرعايا المسيحيين وهو وضع يؤدي الى القضاء على كل مساواة مدنية اوسياسية او اجتماعية . أما الحل النهائي للمسألة فكان تنفيذ مبدأ القومية بما يلائم الرعايا المسيحيين والدول ذات المصلحة

ولتحديد عصور المسألة الشرقية يجب مراعاة التطورات التي وقعت في سير العلاقات السياسية بين أوربا والامبراطورية العثمانية وعلى هذا الأساس يمكن تمييز عصرين هامين من عصور الحكم العثماني في البلقان والبنت . فالعصر الاول هو عصر اتساع الامبراطورية العثمانية الى عهد الحصار الثاني لفينا سنة ١٦٨٣ والعصر الثاني هو عصر التراجع التدريجي الى وقت معاهدة لوزان وهو عصر المسألة الشرقية بمعناها الحقيقي . وفي العصر الاول يمكن تمييز عناصر متعددة هامة .

(١) انهيار مقاومة الولايات الصربية المستقلة في معركة كوسوفو سنة ١٣٨٩ . (٢) انتهاء مقاومة الدول البلقانية لقراءة العثمانيين سنة ١٥٠٣ (٣) بلوغ السلطة العثمانية قمتها في حصار فينا وابتداء التراجع بعد الهزيمة الكبرى أمام أسوارها سنة ١٦٨٣ . وفي العهد الثاني (١) انتقال النفوذ النمساوي الى الروسيا في معالجة الشؤون العثمانية سنة ١٧٧٤ (٢) بداية الثورات الأهلية

(١) للاستاذ فؤاد بوبوفك — بلغراد

في البلقان ونشوب الثورة المصرية سنة ١٨٠٤ . (٣) الانتقاض على حقة التقسيم الروسي والتجديد العثماني التي بدأها سليم الثالث سنة ١٧٨٩ الى سنة ١٨٠٧ . (٤) إيقاف مطامع الروسيا الخاصة وتحويل الشئون العثمانية الى مصلحة أوربية عامة سنة ١٨٥٦ . (٥) تصدر مبدأ القومية للمسيحيين والمسلمين على السواء وهو الحل الحاسم الذي جعل المسألة الشرقية تختفي من الوجود

(١٨٧٥ — ١٩٢٣)

— ٥ — الفلسفة النفعية وعلاقتها بنشوء مبادىء الاحرار في انكلترا[1]

تحولت مبادىء الاحرار في انكلترا تحولاً خطيراً في النصف الاول من القرن التاسع عشر بتأثير مجموعة من الآراء المعروفة باسم آراء النفعيين في تعديل النظام الاقتصادي والاجتماعي. ومبادىء الاحرار لا تعني من الوجهة السياسية سوى نظام معين من انظمة الحكم وهي تنطوي على الاخذ بنظام سياسي يضمن الحرية الدينية والمدنية للافراد وانشاء حكومة مسئولة عن طريق مجالس منتخبة . وقد نشأت ارستقراطية من الاحرار بين ثورة سنة ١٦٨٨ وقانون الاصلاح سنة ١٨٣٢ . وفي خلالها كان يسيطر على البرلمان طبقة الاحرار الملاك وكانت حريات الفرد محدودة من وجوه عديدة غير انه لم يلبث ان نشأت الى جانب الاحرار طبقة متوسطة كان تأثيرها ملحوظاً في سياسة انكلترا التجارية

ذلك ان الثورة الصناعية انشأت نظاماً اجتماعيًّا وسياسيًّا لا يتفق وسياسة الاحرار الارستقراطيين ولذا تحدت مصالح الصناعة مصلحة الملاك في الاشراف على الدولة ، وكانت مشكلة الاحرار حينئذٍ هي مشكلة التحول عن الاساس الارستقراطي الى اساس يتفق ومصالح الطبقة الوسطى . واولئك الذين واجهوا المشكلة وقدموا الحلول الناجحة هم جماعة النفعيين وعلى رأسهم بنتام وأتباعه الذين أثروا في سياسة الاحرار تأثيراً لا يقل في خطورته عن تأثير الفلاسفة في الثورة الفرنسية

فقد كان لهذه الجماعة سياسة وبرنامج وخطة للعمل تمثل آراء ومصالح الطبقة الوسطى من الشعب ومن ثم كان لهم على قلة عددهم شأن عظيم في توجيه سياسة الاحرار لان مبادئهم القائمة على توجيه العناية الى مصلحة الافراد المادية وتعزيز العمل الفردي في كافة الشئون الاقتصادية صادفت قبولاً من جانب الطبقة الوسطى للشعب

وقد كان الفلاسفة الراديكاليون الأداة السياسية لجماعة النفعيين فتراهم ينادون بالانتخاب

(١) للاستاذ سلون شابرو — نيويورك

العام واخضاع الواردات لسلطة النواب والانتخاب السري ... الخ ما يعاون على تحويل السلطة من الطبقة الارستقراطية الى الطبقة الوسطى. ولذا تولوا وحدهم دعوة الاصلاح في وجه الهوج Whigs والتوري Tory على السواء حتى صدر قانون الاصلاح سنة ١٨٣٢ ذلك القانون الذي يعتبر فاتحة حكم الشعب في انجلترا. وأما السلاح الاقتصادي للتفيين فقد شحذه جماعة الاقتصاديين الذين بثوا دعوة مناقضة لمصلحة الملاك ومشايعة لاصحاب رؤس الاموال حتى انتهى الامر باطلاق حرية التجارة التي كانت مقيدة لمصلحة اصحاب الأراضي وحدهم وقد كان اتصال التيارين السياسي والاقتصادي الصادرين من منبع واحد وهو مذهب التفيين هو الذي ادى الى نشوء حزب الاحرار

وفي النضال الذي شجر بعد سنة ١٨٣٢ بين العمال واصحاب رؤوس الاموال كان مذهب التفيين في جانب رؤوس الاموال لان طبيعة مبادئهم تقتضي الدفاع عن حقوق الملكية ولذا استطاع الاحرار الاحتفاظ بقوتهم من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٧٠. ولما نشأت مبادىء جديدة معارضة لمبادىء التفيين وهي مبادىء الاشتراكيين انتشرت المبادىء الديمقراطية وتحولت السلطة من الطبقة الوسطى الى الشعب باكمله حتى توفر السعادة لا لطبقة معينة ولكن لجميع الطبقات

— ٦ —

الفلسفة السياسية الاسلامية ومكانها بين النظريات السياسية العامة (١)

لقد حان الوقت الذي يجب فيه ان تتخذ الفلسفة الاسلامية السياسية مكانها في الفلسفة السياسية العامة. فالى جانب نصوص القرآن التي تتضمن وجوهاً سياسية متعددة تتعلق بالنظام والقانون والاتحاد والتسلية وصيانة مصالح الدولة والمحافظة على المساواة بين الناس ظهر كتّاب متعددون بين القرنين التاسع والخامس عشر عالجوا كثيراً من النظريات السياسية التي تضمهم بحق بين نظرائهم من اقطاب العالم. واليك نموذج من هذه الكتابات مقسمة وفق الاقسام التي تقسم اليها النظريات السياسية عادةً

اولاً — نظرية الدولة

ا — الفارابي ٨٧٠ — ٩٥٠

تكلم عن البواعث التي ادت الى نشوء الدولة فقال ان الانسان يتحلى بملكتين مميزتين له عن غيره وهما ملكة التفكير وملكة النقاش وهما ملكتان تدفعان الانسان الى التجمع بغيره سواء أكان ذلك في مجتمع عادي او مجتمع دولي عام وأهم وحدة في هذه المجتمعات هي وحدة الدولة (السياسة ٣، ٤)

(١) الاستاذ شرواني بالجامعة العثمانية بالهند

ب — الماوردي ٩٧٤—١٠٥٨

قال ان الله تعالى قد وضع القوانين الطبيعية حتى تحسم الخلافات بالحسنى وتشيع مبادىء الحق والصدق بين الناس كما انه عهد برعاية بني البشر الى حكومات تتولى ادارة شؤون العالم بحكمة (الأحكام السلطانية)

ثانياً — نشوء الدولة

أ — وضع الفارابي عبارات صريحة نظرية التنازل الاجماعي للحقوق فقال حينما رأى الناس ان كيان المجتمع مهدد بالاعتداءات الفردية اجتمعوا وتنازل كل منهم عن جزء من حريته المطلقة فتكونت بذلك الدولة وهذه النظرية تسبق نظرية «العقد الاجتماعي»

اما الغزالي ١٠٥٨ — ١١١١ فوضع نظرية صريحة عن نشوء الدولة على اساس التطور التدريجي فبدأ بحيثة الانسان الخاصة وحاجتها الى التعاون والتبادل الاقتصادي والحماية وانتهى الى انشاء الدولة والحكومة . (الاحياء ٧٤٦)

ثالثاً — السيادة وصاحب السيادة (نظام الملك ١٠١٧—١٠٩٢)

يقول ان الامير مكلف رعاية مصالح الشعب وتوفير السعادة والطمأنينة له وعليه واجب حفظ الامن والسلم في البلاد ومن ميزاته خشية الله والتقوى والطهارة . والفارق الوحيد بين الملك والرعية هو ان اوامر الملك يجب ان تطاع

رابعاً — نظام الدولة

يستعرض الفارابي انواع الدول المختلفة الى حد يقترب كثيراً من النظريات الحديثة ويتكلم عن المبادىء التي تقوم عليها الدولة والمستعمرات ويقترب من مبدأ الحكم الذاتي في حكم المستعمرات بأن يخول لها حق وضع القوانين او تعديل القوانين التي أتى بها المستعمرون من بلادهم الاصلية طبقاً للحاجة (السياسة ٩٤)

ويتكلم ابن خلدون ١٣٢٢ — ١٤٠٦ باسهاب عن تأثير البيئة في نظام الدولة متقدماً بذلك نظريات منتسكيو في كتاب روح القوانين

خامساً — السياسة الدولية

تكلم الفارابي عن الحوائل الطبيعية والصناعية التي تفصل بني البشر فقال ان الاختلافات الطبيعية بين بلد وآخر ترجع الى الاحوال الجوية التي تؤثر في طبائع الشعب وعاداته . واما الحوائل الصناعية فناشئة عن اختلاف اللغة (السياسة ٤١) وتكلم نظام الملك عن مهمة المبعوثين

السياسيين فقال ان تعيينهم يرجع الى غرضين اولاً نقل آراء حكومتهم الى الحكومات الموفدين اليها وثانياً القيام ببعض الخدمات السرية واستقصاء الحالة السياسية في البلاد التي يوفدون اليها (سياسة ٢١)

وتكلم الفارابي في مواضع كثيرة عن الجمهورية والشيوعية والفردية فوصف الجمهورية بانها نظام يقوم على المساواة امام القانون فضلاً عن المساواة السياسية والاجتماعية رغماً عن ان الدولة تتكوّن من عناصر شتى من الميول والآراء. ووصف الشيوعية بانها نظام يشرك الشعب في مقومات الحياة الاساسية على ان يبقى للفرد حرية العمل وحرية التعليم ووصف النظام الفردي بانه نظام يحرر الفرد من كل قيود العمل والصناعة على ان يبقى مع هذا خاضعاً للقواعد والانظمة السياسية

—٧— العوامل الثابتة في التاريخ(١)

كل شيء له قيمته في التاريخ حتى التفاصيل الصغرى وكل اثر من آثار الحياة الانسانية يستحق العناية به لذاته ولغرض الاعلى الذي يستخدم فيه ولكن اذا كانت العناصر الانسانية كلها تستحق العناية فهنالك عناصر ثابتة تسيطر على تاريخ العالم على رغم المفارقات التي تسرعي النظر لاول وهلة. فهذه العناصر هي بمنزلة هيكل ثابت لكل ما يدور حولها من وجوه التغير والتقلب

فما هي هذه العناصر الثابتة وسط التغيرات الوقتية؟ اولاً — البيئة الطبيعية التي تفرض ارادتها على كافة المؤسسات الانسانية القائمة في وسطها بحيث تنشىء ارتباطاً وثيقاً بينها على مر العصور. وهنالك عامل ثان هو عامل الجنسية فعلى الرغم من ظهور جنسية ما باسماء مختلفة فان لها في اتجاهاتها ميولاً واغراضاً متماثلة. وهذا كله واضح في حالة اوربا الشرقية وفي جمهورية السوفيت. وثالثاً تظهر بين الحوادث التاريخية المتراكمة عناصر بارزة لها قيمة ثابتة. مثال ذلك المدينة الحالية التي نراها تظهر في العهد الروماني في شكل مقاطعة وتبقى في العصر الوسيط دائرة الاسقفية وفي العصر الحديث تتحول الى مقاطعة من المقاطعات الفرنسية مما يشير صراحة الى ميزة ظاهرة في موقع هذه المدينة. فليوجه البحث دائماً في عناصر التاريخ التي تزاحم بعضها بعضاً الى العوامل الثابتة فهذه العوامل هي الركن الأساسي لفهم التاريخ بأكمله فهماً صحيحاً

(١) الاستاذ فولا بيورجا — جامعة بوخارست

الكولونيل براوث

الكولونيل كولستون

الجنرال ستون

الكولونيل شايبه لونج بك

بردي باشا

محمد رءوف باشا